حجاجية الاستعارة في الكتاب المدرسي
السنة الأولى من التعليم الثانوي آداب وفلسفة أنموذجا

metaphoric arguments in textbook
for the first year of secondary educationliterature and philosophy
division teaching

الدكتور -لحمانص سفيان.

قسم اللغة والأدب العربي –جامعة 20أوت 1955-سكيكدة(الجزائر)
s.lahmaenes@univ-skikda.dz

تاريخ الإيداع: 2021/04/01 تاريخ القبول: 2021/07/28 تاريخ النشر: 2021/11/04

ملخص :

إن تدريس البلاغة العربية في مرحلة التعليم الثانوي ،له أهمية كبرى وأثر راسخ الأساس في تقويم الألسنة وتنمية ذوق الناشئة . و تقتضي العملية التعليمية من معلم اللغة العربية معرفة من يدرس ، و سيطرته على المادة التي يدرسها ، و الإلمام بالنظريات و طرائق التدريس ، لأنها تسهل العمل المنوط إليه ، بتلقين مادته إلى المتعلم .

وفنون البلاغة كثيرة ومتنوعة قسمها العلماء إلى ثلاثة أقسام :علم المعاني وعلم البيان وعلم البديع .

إلَّا أننا سنركز في هذه الدراسة على الاستعارة ،باعتبارها معلمًا بلاغيًا يصاحب المتعلم في حياته البيداغوجية والعملية .وانطلاقا من هذا المنظور سنحاول طرح التساؤل الآتي :

هل تدريس الاستعارة في كتاب السنة الأولى من التعليم الثانوي له دور فني وجمالي فقط ؟

أم له بعد حجاجي إقناعي؟

هل يمكن اعتبار الاستعارة آلية من آليات الحجاج في الكتاب المدرسي ؟

هذا ما سنحاول الاجابة عليه في هذه الورقة البحثية.

الكلمات المفاتيح:حجاجية ،الاستعارة ،الكتاب المدرسي، السنة الأولى من التعليم الثانوي، آداب وفلسفة.

Abstract :

Arabic rhtoric in secondary education has great importence and a firm effect on evaluating tongues and developing the tast of young people .the arts of rhetoric are many and varied divided by the specialists into three categories :sementics,science of the statement and the rhetoric.

Howevre,we will focus in this stady on the metaphore a rhetorical landmark accompanying the learner in his pedagogical and scienticlife.based on this perspective,we will try to ask the following question :does teaching metaphor in first secondary education textbook have a rich and aesthetic role only ?Or does he have a convincing argument ?

This is what we will try to answer in this paper.

Key words :argumentative ,metaphor,textbook,first year of secondary,literature and philosophy.

مقدمة:

إن تدريس البلاغة العربية في مرحلة التعليم الثانوي له أهمية كبرى في تقويم الألسنة وتنمية ذوق الناشئة ،لذلك كان من الضروري مراجعة المناهج وطرائق التدريس ،لكي تلبي حاجات المتعلمين وتواكب التطور الحاصل في المناهج التربوية ومسايرة الانفجار العلمي

وفنون البلاغة كثيرة ومتنوعة لذلك ارتأينا الحديث عن الاستعارة لأنها تحمل منزلة واضحة في الدراسات اللغوية والبلاغية لأنها تضفي على الكلام الرونق والجمال والإحساس بالمتعة،كما تعتبر الاستعارة وسيلة لغوية غير عادية تفرض على المتلقي الانتباه والتركيز على المعنى الذي تعرضه بأسلوب مخالف للكلام العادي"يعنى المنظور التداولي للاستعارة دراستها ضمن سياقاتها التواصلية المتعددة والتعامل مع العناصر الواقعية لملفوظاتها ،ويقتضي ذلك أن ينظر إليها بعدّها وسيلة لغوية للاتصال غير عادية باعتمادها مخالفة المعتاد من اللغة ،وتتضح قيمتها من محصول التفاعل بين ما هو بشري وأدبي و فني،دون إغفال النظر إلى الانتقال السياقي الذي تفرضه على المتكلم والسامع من سياق التلفظ إلى سياق التلقى،على تنوع السياقات الثقافية والاجتماعية"[1]

كما تساهم الاستعارة إلى حد بعيد في تكوين و تهيئة الخطاب الحجاجي لأنها من أقرب الوسائل الهادفة إل الإقناع .

1-مفهوم الحجاج:

الحجاج مفهوم قديم حديث في آن واحد ،غير أن الدلالة المعاصرة لهذا المفهوم حُملت وشُحنت بدلالات وإضافات فكرية تضاف إلى حمولته اللغوية والفكرية القديمة2

أ- لغة: عند البحث عن المعنى المعجمي لكلمة (الحجاج) في المعاجم العربية نجدها تدور حول عدة معان نذكر منها ما أورده ابن منظور في مادة (ح ج ج) إذ يقول: «الحجُ: القصد. حج إلياً أي قدم. وحجةُ بحجة حجاً: قصده ... والمحجة الطريق. يقال: حاججتهُ أحاجُه حجاجاً ومحاجةً حتى حججتهُ أي غلبته بالحجج التي أدليت بها.

والحجة: البرهان: وقيل «ما دفع به الخصم، ورجل محجاج أي جدل وحاجه محاجةً وحجاجاً: نازعته بالحجة»[3].

وفي القواميس الغربية نجد لفظة Argumentation تشير إلى عدة معاني أبرزها حسب قاموس روبير الصغير إلى:

- القيام باستعمال الحجج.
- مجموعة من الحجج التي تستهدف تحقيق نتيجة واحدة.
- فن استعمال الحجج أو الاعتراض بها في مناقشة معينة.

فالحجاج عموما يجمع بين طرفين أو أكثر ،بحيث يدلي كل طرف بحجته قصد إفحام الخصم بوصف الحجج على نحو معين يستميل فيها العقول والقلوب.

ب- اصطلاحا: يختلف مفهوم الحجاج* من حقل إلى آخر، ومن مجال إلى آخر لذلك يعتبر الحجاج موضوعا متشعبًا وذلك بالنظر إلى الاتجاهات والنظريات التي اهتمت به، فنجد المفهوم الفلسفي، والمفهوم المنطقي، المفهوم البلاغي، القضائي، ... وهذا التنوع عامل من العوامل التي جعلت مفهوم الحجاج من المفاهيم المثيرة للالتباس والتي يصعب الإحاطة بها.

إلاّ أن هناك بعض المحددات التي اتفق عليها دارسوا الحجاج وهي:

- الحجاج خطاب إقناعي: أي أنّ هدفه التأثير في المتلقي، إما لتدعيم موقفه وإما لتغيير رأيه فتبنَّى موقف جديد سواء كان هذا الموقف يقتصر على الإقناع الذاتي أو يقتضي فعلاً ما[4]
- أن الحجاج بعد جوهري في اللغة ذاتها فحيثما وجُد خطاب العقل واللغة وجد الحجاج واستعمل كاستراتيجية لغوية وعقلية ،يلجأ إليها المتكلم لإقناع نفسه أو إقناع غيره[5].

وهذا أبرز ما ذهب إليه منظري نظرية الحجـاج المعـاصرة كـ: شايم بيلمانCH.PerIman وميشال مايرM.Mayer حيث يقول الأخير «يعرف الحجاج عادة بكونه جهداً اقناعياً (افحامياً) ويعتبر البعد الحجاجي بعداً جوهرياً في اللغة لكون كل خطاب يسعى إلى إقناع من يتوجه إليه الخطاب»[6].

وانطلاقاً مما سبق ذكره نلاحظ أنّ هناك نوعين من الحجاج في النظريات المعاصرة حجاج عادي عند البلاغيين الجدد يستعمل تقنيات بلاغية ومنطقية من أجل الإقناع ويمثله -على سبيل المثال- بيرلمانPerIuman، تيتكاTyticaاللذان عرفا الحجاج، انطلاقاً من موضوعه بأنه «درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض إليها من أطروحات أو تزيد في درجة ذلك التسليم»[7].

أما الاتجاه الثاني فيمثله -على سبيل المثال- كل من ديكروR.Décro، وانسكومبر و بلانتان من أصحاب التصور اللساني التداولي للحجاج حيث يتمثل الحجاج عند كل من ديكروانسكومبر بتقديم المتكلم الأول (ق1) يفضي إلى التسليم بقول أخر (ق2) وسواء أكان (ق2) صريحاً أو ضمنياً فعملية قبول (ق2) على أنه نتيجة (ق1) تسمى عملية محاجَّة»[8].

أما عن الهدف من تعليم الحجاج في الفضاء المدرسي هو الوصول إلى وضع المعايير والشروط الضرورية لاتخاذ القرارات وبناء الأحكام وبناء طرق التحاجج بين الأفراد، تكون في متناول الطالب والتلميذ. ومن أهم الأهداف كذلك في تعليم الحجاج لا التركيز على الخصائص الشكلية مثل: أنواع الحجج أو الروابط المنطقية ولكن لتهيئة التلميذ في المشاركة في الحياة الاجتماعية سواء في البيت أو في المدرسة أو على مستوى المجتمع وتمكينه من فهم الخطط الحجاجية التي يتعرض لها في مختلف مجالات حياتهحتى يتمكن من تقييم الحجاج ثم قبوله أو تبين الخطأ فيه والرد عليه إن كان له رأي آخر[9].

إنّ العملية التعليمية بوصفها فعلاً تواصلياً داخل الفضاء المدرسي يفضي بالضرورة إلى الإقناع ،لأنه الغاية المثلى من كل تواصل إنساني وهكذا تبين أنّ التواصل محاججة تهدف إلى عقد علاقات اجتماعية جيدة ومتينة بين أفراد العشيرة اللغوية، وهو ما من شأنه أن يخلق نوعاً من التوازن والاستقرار لأنه إذا أنزل الخلاف منزلة الداء الذي يفرق، فإن الحوار ينزل منزلة الدواء الذي يشفى[10].

وأشكال التواصل وآلياته التي يلجأ إليها (المعلم والمتعلم)داخل الفصل الدراسي تكون لفظية وغير لفظية ،غرضها التواصل و إقناع وادعان المتعلم لفكرة ما أو تغير موقف معين .

ومن بين هذه الأشكالالتي يستخدمها أقطاب العملية التعليمية الآليات البلاغية والتي نركز فيها على دراسة الاستعارة وتطبيقاتها في الكتاب المدرسي

2-مفهوم الاستعارة:

الاستعارة مأخودة من العارية ،وهي نقل الشيء من حيازة شخص إلى شخص أخر حتى تصبح تلك العارية من خصائص المعار إليه و الإلصاق به.وبهذا المعنى كانت ذات صلة بالمعنى الاصطلاحي ،الذي عرفت به لدى علماء البلاغة لما في نقل اللفظ من معنى عرف به في أصل اللغة إلى معنى أخر لم يعرف به هذا اللفظ حتى يصبح هذا اللفظ من الدلائل عليه وذلك المعنى من لوازم هذا اللفظ[11]

عرف أبو هلال العسكري المتوفى(395ه)الاستعارة في كتابه (الصناعتين)بقوله"الاستعارة نقل العبارة من موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض"ثم شرح الغرض بقوله"وذلك الغرض إما أن يكون شرح لمعنى وفضل الإبان عنه أو تأكيده والمبالغة فيه أو الإشارة إليه بالقليل من اللفظ أو تحسين المعرض الذي يبرز فيه ،وهذه أوصاف موجودة في الاستعارة المصيبة"فبالنظر إلى كلام العسكري السابق نرى أنه يريد بالاستعارة نقل اللفظ من معناه الموضوع له في أصل اللغة إلى معنى أخر لغرض معين ،ثم وضح الغرض من النقل وحصره في الأمور الآتية[12]:

-شرح المعنى شرحا يقربه من ذهن السامع ويوضحه في نفسه ويؤكده.

-المبالغة في إدخال المشبه به في جنس المشبه به أو نوعه.

-تصوير المعنى بصورة الغريب الذي تشوق النفس إلى معرفته.

-الاقتصار على ذهن السامع بالإشارة إلى المعنى الكثير باللفظ القليل.

فالصورة البيانية لها أثر خاص على المتلقى لأنها تجيز النقل في أسلوب أدبي رائع و جميل تعشقه النفوس وتصبو إليه القلوب وتطرب آذان السامع.

3-الاستعارة الحجاجية:

لم تعد الاستعارة مع التطورات التي عرفتها الدراسات اللغوية،مجرد زخرفا لفظيا بيانيا ،أو شكلا بلاغيا و أسلوبيا نستعمله لتزين الكلام ،وإنما هي فن لغوي تداولي يعطي للقول قوته الدلالية تأثيرا وانفعالا واستحسانا [13].

وعلى هذا الأساس لم يعد تقسيم الاستعارة يقتصر على مفيدة أو غير مفيدة كما اعتمدها الجرجاني بل ظهرت تقسيمات أخرى جعلت الاستعارة قسمين :الاستعارة الحجاجية والاستعارة البديعية[14]

وعليه فالاستعارة الحجاجية تؤدي وظائف في عملية التخاطب وعملتي الفهم والتأويل بين المرسل والمتلقي ،وهذه الآلية الاستعارية في القول الحجاجي لا تقف عند حدود التمثيل أو المشابهة ؛بل تتخطى ذلك وتحول البناء الحجاجي بأكمله إلى بناء استعاري يستدعى فيه المعنى الصريح مكان المعنى الضمني ،معتمدا على المقومات والركائز الأساسية في العملية الحجاجية وهي :وهي المقام والمقتضيات التداولية[15]

كما نجد في الدراسات الغربية الحديثة من يعزز هذه الفكرة ومن بينهم "أوليفيريبول" الذي نشر مقالات عدة في مجال الحجاج البلاغي وأشهرها مقالة الموسوم: هل يمكن أن يوجد حجاج غير بلاغي؟ وكذلك مقالة "الصورة والحجة" حيث يقول: «... لن نبحث عن جوهر البلاغة لا في الأسلوب ولا في الحجاج، بل في المنطقة التي يتقاطعان فيها بالتحديد. بعبارة أخرى ينتمي إلى البلاغة بالنسبة إلينا كل خطاب يجمع بين الحجاج والأسلوب، كل خطاب تحض فيه الوظائف الثلاث: المتعة، والتعليم والإثارة مجتمعةً متعاضدة، كل خطاب يقنع بالمتعة والإثارة مدعمتين بالحجاج»[16].

يتضح من خلال هذا القول أن البلاغة هي كل ما يجمع الأسلوب الحسن الجميل والمنمق، بين ما هو حجاجي يطغى على الخطاب الجانب الإقناعي واستمالة النفوس.

كما تحدث "بيرلمان" عن الصورة وميز بين الصورة الحجاجية والصورة التحسينية بقوله: «نعتبر صورة التعبير حجاجيةإذا استتعبت تغيراً في الأفق، فبدا استعمالها عادياً بالنسبة للمقام الجديد ،على خلاف ذلك لا يستتبع انخراط المستمع في الشكل الحجاجي، فان الصورة ستظهر كمحسن، أي صورة أسلوبية، بوسعها أن تثير الإعجاب ولكن ذلك يظل في المستوى الجمالي»[17].

لذلك عُدت البلاغة آلية من آليات الحجاج لأنها تعمل على إقناع المتلقي عن طريق إشباع فكره ومشاعره حتى ننقل القضية أو الفعل موضوع الخطاب ومن بين الخصائص الأسلوبية للخطاب الحجاجي البلاغي[18]:

- هي الخصائص والصور البلاغية المحورية التي يتبناها الخطاب الحجاجي ولاسيما الأدبي لأنها تنشط الخطاب وذات وظيفة إقناعية.
- الاستعارة: تنحدر مما يسمى "بالقياس L'analogie" ودوره في الأبنية البرهانية وهي تمتد عكسياً إلى "أرسطو" الذي صنفها تحت تسمية "الاستعارة الحجاجية" التي تهدف إلى الإقناع وإحداث تغير في الموقف العاطفي أو الفكري للمتلقي.
- المثل: امتداد الاستعارة التمثيلية وهو صيغة لا تتغير أبدا رغم تغير السياقات التي ترد فيها، باعتباره حجة ودليلاً ويأتي في مظاهر عِدّة: المثل الجدلي والغير جدلي، نص سردي...
- نجد أرسطو يميز بين ثلاثة أنواع من الاستعارات وهي "الاستعارة الجمهورية والاستعارة الشعرية والاستعارة الحجاجية". وقد أقمنا هذا التمييز انطلاقا من مقام التواصل اليومي للخطاب، فإذا كان الخطاب يهدف إلى الإقناع يكون حجاجياً، وحين يهدف إلى المتعة يكون شعرياً، وحين يهدف إلى الإبلاغ يكون عادياً (متداولاً). ومن هنا فالاستعارة تهدف إلى إحداث تغير في الموقف العاطفي أو الفكري للمتلقي في حين الاستعارة الشعرية لا تهدف إلاّ على ذاتها ولا تحيل إلاّ على ذاتها»[19].

ويمكن أن نسقط قول أرسطو على نوعين من الاستعارة هما الاستعارة الحجاجية والاستعارة البديعية، فالاستعارة الحجاجية فهي: «استعارة تدخل ضمن الوسائل اللغوية التي يشغلها المتكلم بقصد توجيه خطابه ،وبقصد تحقيق أهدافه الحجاجية. فالاستعارة الحجاجية هي النوع الأكثر انتشاراً لارتباطها بمقاصد المتكلمين وسياقاتهم التواصلية والتخاطبية»[20].

فالاستعارة الحجاجية تقوم على السياق والمستمع والمتكلم ... من أجل تحقيق التواصل والتفاعل بين الأفراد أو ما يعرف بالاستعارة التداولية وهي: «وسيلة لغوية تواصلية وتفسيرها على المستويين البلاغيين: مستوى التواصل والتفاعل البشري والمستوى الأدبي والفني ، وترجمَّتها وما يترتب على عملية الترجمة والانتقال من سياق التلقي الذي أنتجت فيه الاستعارة إلى سياق آخر وما يتعلق بذلك من اختلاف الثقافي والاجتماعي ويأتي التمييز بين المعنى الحرفي(معنى الجملة،المعنى النحوي)والمعنى التداولي (المعنى السياقي ،معنى المتكلم)بمثابة الفكرة الام التي تجمع بين القضايا المثارة في دراسة الاستعارة وفق رؤية تداولية ...»[21].

وهذا ما يؤكده كذلك جورج لايكوفgeorgeslakoffومارك جونسنm.jonson

بقولهما "انتهنا إلى أن الاستعارة حاضرة في كل مجالات حياتنا اليومية ،إنها ليست مقتصرة على اللغة ،بل توجد في تفكيرنا وفي الأعمال التي نقوم بها أيضا .إن النسق التصوري العادي الذي يسير تفكيرنا وسلوكنا (لذو)طبيعة استعارية بالأساس" وهنا يبدو أن التداولية هي تفاعل النظر الاستعاري بالممارسة الفعلية ،كما تظهر كذلك في أهمية السياق في فهم دلالاتها الاستعارية[22]

أما الاستعارة البديعية: «تكون مقصودةلذاتها، ولا ترتبط بالمتكلمين وبمقاصدهم وأهدافهم الحجاجية، وإنما نجد هذا النوع من الاستعارة عند الأدباء والفنانين الذين يهدفون من ورائها إلى إظهار تمكنهم من اللغة، فالسياق هنا هو سياق الزخرف اللفظي والتفنن الأسلوبي وليس سياق التواصل والتخاطب»[23]. فهي بهذا المفهوم استعارة جمالية تظهر الحسن والجمال ليس هدفها التأثير في المستمعين وإنما إضفاء نوع من الزخرف والبهرجة اللفظية على أذن المتلقي.

4-الاستعارة والكتاب المدرسي بالتعليم الثانوي:

قبل الحديث عن موقع الاستعارة في الكتاب المدرسي بالتعليم الثانوي ،يجدر بنا الحديث عن مفهوم الكتاب المدرسي ومكانته في المنهاج التعليمي.

فالكتاب المدرسي يعتبر ركيزة أساسية تقوم عليها البرامج التربوية برمتها ،ويعكس التصورات الفلسفية والمنهجية التي تتبناها الأمم"يشكل الكتاب المدرسي في المؤسسة التربوية أهم مصدر تعليمي ،لأنه يمثل أكبر قدر من المنهاج التربوي المقرر ،ويوفر أعلى مستوى من الخبرات التعليمية الموجهة لتحقيق الأهداف التعليمية المنشودة ،لهذا فإن الكتاب التعليمي يمثل مكانة مركزية في النظام التربوي ،ويعود ذلك إلى أن الكتاب التعليمي هو أيسر المصادر التعليمية العلمية

التي تتوفر للدارس في بيئته العامة والخاصة "[24].وكلما كانت هذه التصورات مضبوطة ومقدمة بطرق جيدة ،كلما كان تأثيرها على المتعلم لذلك "يعتبر مطلب مراجعة الكتب المدرسية المقررة ،إضافة لكونه مطلبا حيويا لشريحة واسعة من المجتمع المدني ،فإذا كانت مناهج التعليم هي الإطار الذي تتفاعل فيه العلاقات التربوية ،فإن الكتاب المدرسي هو التجسيد الفعلي لهذه العلاقات والمحور الأساسي في المنظومة التربوية ،كما أنه المرآة العاكسة التي تعكس رؤيا المجتمع وتوجهاته من خلال ما يتضمنه من أراء ومواقف وقيم وأنماط وسلوك".[25]

وعلى الرغم من تعدد الوسائل التعليمية المختلفة الناتجة عن التطور التكنولوجي الذي نعيشه اليوم ،يبقى الكتاب المدرسي أيسر وأنجع وسائل التحصيل المدرسي ومصدر استفاء المعلومات والمعارف وعنصر من عناصر التواصل بين المدرس والتلميذ[26]

أما الكتاب المدرسي الموجه إلى تلاميذ السنة الأولى من التعليم الثانوي ،فجاء تحت عنوان :المشوق في الأدب والنصوص والمطالعة جدع مشترك آداب وفلسفة ،أشرف على إعداده حسين شلوف مفتش التربية والتكوين وشارك في تأليفه كل من :

حسين شلوف مفتش التربية والتكوين .

أحسن ثليلاني أستاذ التعليم الثانوي.

محمد القروي أستاذ التعليم الثانوي.

عدد صفحات الكتاب 222من الحجم المتوسط ،مقسم إلى 12وحدة تعليمية وكل وحدة تحتوي على :النص الأدبي،النص التواصلي،قواعد اللغة ،عروض وبلاغة ،نقد أدبي،مطالعة موجهة.

معتمدين على التسلسل الزمني والتاريخي في عرض المادة التعليمية (العصور الأدبية)وتقديم المداخل التاريخية والأحداث التي سبقت كل عصر في كل محور [27]

ونظرا للأهمية التي يكتسبها الكتاب المدرسي آثرنا الوقوف على محتويات الدرس البلاغي الموجه لتلاميذ السنة الأولى ثانوي شعبة الآداب والفلسفة .

5-محتويات الدرس البلاغي:

اهتم الدرس البلاغي في كتاب "المشوق"بعلوم البلاغة من بيان ومعان وبديع ،مع التركيز على أهم الظواهر التي تساعد التلميذ على القراءة الواعية .ويقع درس البلاغة إلى جانب دروس مشتركة معه في الدرس اللغوي والأدبي نوضحها فيما يلي:

الوحدة1:التشبيه وأركانه.

الوحدة2:المجاز اللغوي.

الوحدة 3:المجاز العقلي.

الوحدة 4:المجاز المرسل.

الوحدة5:الاستعارة المكنية والتصريحية .

الوحدة 6:الكناية.

الوحدة7:الجملة الخبرية والجملة الإنشائية .

الوحدة8:أضرب الخبر.

الوحدة9:أنواع الجملة الإنشائية.

الوحدة 10:الجناس .

الوحدة11:الطباق.

الوحدة 12:المقابلة.

6-الاستعارة والكتاب المدرسي(المشوق):

يقع درس الاستعارة في الكتاب المدرسي "المشوق" ،ضمن الوحدة الخامسة ،وهو يأتي بعد التشبيه والمجاز ،وسوف نقوم بعرض بعض النماذج عن حجاجية الاستعارة الواردة في الكتاب المدرسي(المشوق):

-تعتبر الاستعارة أحد آليات الحجاج البلاغي ،والذي اعتمد عليه كتاب المشوق في الآداب والنصوص والمطالعة "إن الصورة المجازية أو البيانية حين تستوفي شروط اكتمالها وتأخد مكانها المناسب ،فإنها تساعد على تحقيق الأهداف التالية:الإيضاح والإفهام والامتناع للمتلقي وتنمية قدرته التخيلية والإبداعية "[28] فالصورة البيانية المقصودة أو البيانية كالتشبيهات والاستعارات والتمثيلات تعد من وسائل التقريب والتوضيح.

فالاستعارة إذن هي أحد هذه العناصر التي تساعد على الفهم والتوضيح بنسبة المادي إلى المحسوس أو المحسوس إلى المادي أو حذف أحد العناصر...كما تهدف الاستعارة إحداث تغير في الفكري أو العاطفي للمتلقي[29]؛لأنها تعطي قوة للألفاظ والمعاني والسياقات ،ويجعلها قادرة على الإيجاز وتقديم عدد من المعاني بالقليل من الألفاظ.

ونجد الاستعارة في كتاب السنة الأولى ثانوي وفق الأمثلة التالية :

1/جاء في الوحدة الأولى من نص زهير بن أبي سلمى تحت عنوان الإشادة بالصلح والتحذير من ويلات الحرب ص16قول الشاعر:

فتعرُككمُ عَركَ الرَّحى بثفَالها وتلقح كشَافاً ثم تنتج فَتتئم

في هذا البيت حديث واضح على أضرار الحرب،لأنها تأتي على الأخضر واليابس،والمنتصر شكليا كذلك هو خاسر في الحقيقة ؛حيث شبه العراك أو الحرب بعمل الرحى في طحن القمح أو شيء صلب .

ففي هذا البيت يخاطب الشاعر عبس وذبيان واصفا الحرب وويلاتها بحال الحبّ الذي يوضع ويطحن في الرحى،فجعل الحرب بمنزلة طحن الرحى أو مغذي للرحى وبالغ في وصف الحرب لاقحة والأخر إتامها.

فصدر البيت يمثل نتيجة الحرب ،حيث شبه البشر بالحبوب تتحول إلى دقيق يسقط على الثفال.والشطر الثاني شبهه بحال الناقة التي تلد كل عام توأم ،في إشارة واضحة لضعف الناقة ومنه هزال أبنائها .فهي إذن استعارة مكنية لجأ إليها الشاعر لكي يكون شعره وقعه قويا على السامع حتى يقتنع بأضرار الحرب في نفس الوقت .

وعليه يمكن أن نعتبر صدر البيت بمثابة نتيجة للحرب فحال البشر أثناء الحرب مثل حال الحب لمَّا يطحن والنتائج المترتبة عن الحرب مثل الضعف والهزال في جميع الأصعدة ،فالهدف واحد هو التنفير من الحرب وهذا بتصويرها بصورة مخيفة وقبيحة.

2/يقول عمر الدسوقي في نص الفروسية عند العرب ص50"...إن بيع النفوس رخيصة في ميدان القتال دفاعا عن العرض أو ذودا عن الحرمات هو أقصى ما تصل إليه النفس الإنسانية في شجاعتها"حيث شبه الكاتب النفوس بسلعة تباع فحذف المشبه به و أشار إليه بالبيع وهي استعارة مكنية دعمت النتيجة وهي الدفاع عن العرض والشرف لا تعوضه التضحية بالنفس ، فهذه حجة قوية تدعم الطرح أو النتيجة ،ولجأ الكاتب إلى الاستعارة لأنها أقوى حجاجيا من الأقوال العادية ،فقد حاول إقناع المتلقي أن الدفاع عن العرض لا يقاس بثمن ولا يوجد شيء أعلى من النفس من أجل التضحية بها حتى تدافع عن الحرمات وتدافع عن العرض وأن تعيش مرتاح البال.

3-ورد في نص الأمثال والحكم ص68مجموعة من الأمثال والحكم نذكر منها:

"بلغ السيل الزبى "والزبى هي الرابية التي لا يعلوها الماء ،فإذا بلغها كان مجحفا أو بمعنى أخر المكان المرتفع ،ومعناه وصول السيل إلى قمم الجبال وهذا واقعيا غير مقبول أن يصل الماء إلى قمم الجبال ؛ولكن يستعمل هذا المثل للدلالة على أن الأمر لا أصبح لا يطاق وبلغ ذروته .فلو عبرنا بكلام عادي وقلنا الأمر لا يطاق ،لا يكون وقعها وأثرها على السامع عندما نستعمل الاستعارة (التمثيلية)وهي قوية حجاجيا وآثرها بين على السامع عندما نقول "بلغ السيل الزبى".

وفي نص وصف البرق والمطر لعبيد بن الأبرص يقول:

هبت جنُوبُ بأولاهُ ومال به أعجاز مُزن يسُعُ الماء دلاح

في هذا البيت حديث ضمني عن الأحوال الجوية المتقلبة وقوة الأمطار،حيث يصف الشاعر هذا الموقف بهبوب رياح جنوبية بأوله وأماله السحاب الذي أمطر بغزارة،حيث شبه السحاب المثقل بالأمطار بالنوق التي تنقل الحمولة ووجه الشبه أن ريح الجنوب تميل بها بسبب الحمولة الثقيلة وترك ما يدل عليه (أعجاز) ،ويعتبر الشطر الأول حجة تخدم النتيجة في الشطر الثاني،فعندما هبت الرياح الجنوبية ،ومال به بدأ المزن بالنزول والسيلان، وهي إذن استعارة مكنية لجأ إليها الشاعر لكي يكون شعره وقعه قوي على السامع حتى ينتبه ويحتاط من قوة المطر .

فهذه الحجة قوية تدعم الطرح أو النتيجة التي لجأ إليها الشاعر،لأنها أقوى حجاجيا من الكلام العادي .

وجاء في نص الفروسية لعنترة بن شداد العبسي قوله :

إذا كشف الزمان لك القناعا ومدً إليك صروف الدَّهر باعا

يحتوي هذا البيت الشعري على استعارتين حجاجيتين على شكل حجج لخدمة الفكرة المطروحة ،ويمثل الشطر الأول الحجة الأولى،حيث يكشف الزمان لنا القناع ويميط اللثام عن هموم الدنيا ومصائب الدهر.

والحجة الثانية في الشطر الثاني استمرار الزمان على مدنا بالهموم والمصائب تباعا،ويمكن توضيحه بالشكل التالي :

ح1: كشف الزمان لك القناع

ح2: ومدً إليك صروف الدَّهر باعا

النتيجة : ضرورة مواجهة نوائب الدهر.

فالحجة الأولى تخدم النتيجة وجاءت على شكل استعارة مكنية عمل الشاعر على نقل المعنوي إلى المحسوس،والحجة الثانية تشبيه الدهر وهو يمدنا بالمصائب والهموم تباعا ،وهذه حجة قوية تخدم النتيجة المضمرة وهي مواجهة نوائب الدهر.

فالشاعر هنا لجأ إلى الاستعارة لأنها أقوى حجاجيا وتعبر بصدق عن ما يجول في خاطره ،وأقوى حجاجيا من القول العادي ،فل وقال : بين الزمان همومه ومصائبه ،أو الدنيا مليئة بالهموم والمصائب أو ما شابه هذا القبيل لما حققت الغاية المنشودة ،وخدم الأطروحة المقدمة ،وإذعان المتلقي ،لما كان لهذا الكلام قوة حجاجية .

ويمكن أن نمثل ذلك بواسطة السلم الحجاجي :

-ن/مواجهة نوائب الدهر

-كشف الزمان لك القناعا

-مدً إليك صروف الدهر باعا.

وفي نفس القصيدة في البيت الثاني استعمل الشاعر الاستعارة حيث يقول :

فلا تخش المنية واقتحمها ودافع ما استطعت لها دفاعا.

فهذا البيت عبارة عن حكمة مفادها أن الموت حتمية لا نقاش فيها ،فإن لم تذهب إليها ستأتي إليك،ولا قدرة لنا على إيقافها أو الفرار منها،إذ علينا مواجهتها بشجاعة وبسالة،وأن لا نركن للخوف .

يحتوي هذا البيت على استعارة مكنية،حيث صور المعنوي (المنية) في قالب المحسوس (اقتحمها) ويمثل حجة قوية لدعم الأطروحة و النتيجة في الشطر الثاني وهو اقتحام ساحة الوغى والدفاع عن النفس والشرف .

فالشاعر ذو شخصية قوية وشجاعة ،شديد البطش بالأعداء ولا يخشى المنية وعاشق للموت ومحب له .

استعمل الشاعر هذا القول الاستعاري الحجاجي وهو موقن من قدرته على التأثير في المتلقي واستمالته بهذه الصورة الاستعارية الأقوى حجاجيا من الكلام ا لمتعارف عليه .

من خلال ما سبق ذكره نجد أن الاستعارة في الكتاب المدرسي ،لا تقتصر على الجانب البلاغي الذي تعارف عليه الدارسون من إضفاء صفة الجمال والرونق وإخبار المتلقي؛بل نجد في مواضع كثيرة لها دور حجاجي إقناعي تهدف من ورائه إلى استمالته ،وحمل المخاطَب على مشاطرة المخاطِب رأيه، أو التصرف وفقا لما يرضاه أو يتوخاه حسب المقام والسياق الذي ترد فيه.

- **قائمة المصادروالمراجع**

أ-المؤلفات:

1آمال يوسف المغامسي، الحجاج في الحديث النبوي دار المتوسطية للنشر،ط2016،1 .
2 كورنيليا فون زاد صكوجي ،الحجاج في المقام المدرسي ،منشورات كلية الآداب ،منوبة ،2003.
3ابن منظور ،لسان العرب ،دار صادر ،ط2005،1.
4 الحبيب أعراب الحجاج والاستدلال الحجاجي،مقال ضمن كتاب الحجاج مفهومه مجالاته دراسة نظرية تطبيقية في البلاغة الجديدة ،عالم الكتاب الجديد،الجزء ا لأول ،الأردن ،2010.

5 عبد الله صوله: في نظرية الحجاج ، نظرية وتطبيقات، مسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 2011
6 حسن بدوح: أهمية الحجاج في ممارسة التواصل الإنساني، ضمن سلسلة الحجاج رؤى نظرية، دراسات تطبيقية، إشراف حسن خميس الملخ، عالم الكتب الحديث، 2010.
7 محمود السيد شيخون ،الاستعارة نشأتها وتطورها ،دار الهداية للطبع والنشر والتوزيع ،ط1994،2.
8 رضوان الرقي،البلاغة والحجاج بحث في تداولية الخطاب ،أفريقيا الشرق،المغرب،2018.
9 محمد العمري البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول، إفريقيا الشرق، المغرب، ط1، 2005.
10 عمر أوكان: اللغة والخطاب ،رؤية للنشر والتوزيع، ط1، 2011.
11 أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، عالم الكتب الحديث ،الأردن،2010.
12 هاجر مدقن ،الخطاب الحجاجي أنواع هوخصائصه،منشورات الاختلاف،ط1،2013 .
13 شهاب سامية ،الكتاب المدرسي التعليمي،مقال ضمن كتاب من قراءات المركز ،وزارة التربية الوطنية،المركز الوطني للوثائق التربوية ،الجزائر،2015.
14 أحمد فريقي ،التواصل التربوي واللغوي ،مطبعة الرباط 2011.
15خالد العمراني وخالد البقالي القاسمي ،ديداكتيك التربية الاسلامية من الابستمولوجيا إلى البيداغوجيا ،ط1،دار الثقافة ،الدار البيضاء ،1999
16والمشوق في الآدب والنصوص والمطالعة ،وزارة التربية الوطنية
17،شوقي مصطفى ،المجاز والحجاج في درس الفلسفة بين الكلمة والصورة ،دار الثقافة للنشر والتوزيع،ط1،،المغرب،2005 .

ب-المجلات:

1-خليفة بوجادي،تداولية الاستعارة من خلال أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني،مجلة علوم اللغة العربية،العدد الخامس،2013.
2- هاجر مدقن،آليات تشكيل الخطاب الحجاجي بين نظرية البيان ونظرية البرهان ،مجلة الآثر،عدد05،ورقلة ،2006.
3- عيد بلبع،الرؤية التداولية للاستعارة،مجلة علامات،عدد2005،23.

الهوامش:

1 خليفة بو جادي، تداولية الاستعارةمن خلال "أسرار البلاغة "لعبد القاهر الجرجاني ،مجلة علوم اللغة العربية وآدابها ،العدد الخامس،2013،ص166[1]
2 أمال يوسف المغامسي ،الحجاج في الحديث النبوي ،دار المتوسطية للنشر ،ط2016،1،ص202
3 ابن منظور لسان العرب مادة (ح ج ج) ،دار صادر،ص226.
4 كورنيليا فون زاد صكوجي ،الحجاج في المقام المدرسي ،منشورات كلية الآداب ،منوبة ،2003،ص13
5 الحبيب أعراب الحجاج والاستدلال الحجاجي،مقال ضمن كتاب الحجاج مفهومه مجالاته دراسة نظرية تطبيقية في البلاغة الجديدة ،عالم الكتاب الجديد،الجزء الأول ،210،الأردن ،20-21 ص 624.
6 المرجع نفسه، ص 625.
7 ينظر: أمال يوسف المغامسي: الحجاج في الحديث النبوي، ص 23.

8 عبد الله صوله: في نظرية الحجاج ، نظرية وتطبيقات، مسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 2011، ص 13 .

9كورنيليا فون راد، صكّوحي: الحجاج في المقام المدرسي، ص 16.

10 حسن بدوح: أهمية الحجاج في ممارسة التواصل الإنساني، ضمن سلسلة الحجاج رؤى نظرية، دراسات تطبيقية، إشراف حسن خميس الملخ، عالم الكتب الحديث، 2010، ص 03.

11 محمود السيد شيخون ،الاستعارة نشأتها وتطورها ،دار الهداية للطبع والنشر والتوزيع ،ط1994،2،ص05

12 نفسه،ص21

13رضوان الرقي،البلاغة والحجاج بحث في تداولية الخطاب ،أفريقيا الشرق،المغرب،2018،ص110

14 نفسه،ص110

15 نفسه،ص111

16أوليفيروبول: هل يمكن أن يوجد حجاج غير بلاغي؟ ترجمة محمد العمري ضمن كتابه البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول، إفريقيا الشرق، المغرب، ط1، 2005، ص 22.

17 المرجع نفسه، ص 44.

18 هاجر مدقن: آليات تشكل الخطاب الحجاجي بين نظرية البيان ونظرية البرهان، مجلة الآثر، جامعة قاصدي مرباح، عدد 05، ، ورقلة، 2006ص 190.

19 عمر أوكان: اللغة والخطاب ،رؤية للنشر والتوزيع، ط1، 2011، ص 218.

20 أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، عالم الكتب الحديث ،الأردن ،ص 108.

21 عيد بلبع: الرؤية التداولية للاستعارة، مجلة علامات، عدد 23، 2005، ص 99.

22هاجر مدقن ،الخطاب الحجاجي أنواع هوخصائصه،منشورات الاختلاف،ط2013،1،ص 86

23 أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، ص 109.

24 شهاب سامية ،الكتاب المدرسي التعليمي،مقال ضمن كتاب من قراءات المركز ،وزارة التربية الوطنية ،المركز الوطني للوثائق التربوية ،الجزائر،2015،ص86

25 أحمد فريقي ،التواصل التربوي واللغوي ،مطبعة الرباط 2011،ص81

26 ينظر ،خالد العمراني وخالد البقالي القاسمي ،ديداكتيك التربية الاسلامية من الابستمولوجيا إلى البيداغوجيا ،ط1،دار الثقافة ،الدار البيضاء ،1999،ص159

27 ينظر ،كتاب المشوق في الأدب والنصوص والمطالعة ،وزارة التربية الوطنية

28 ينظر ،شوقي مصطفى ،المجاز والحجاج في درس الفلسفة بين الكلمة والصورة ،دار الثقافة للنشر والتوزيع،ط2005،1،المغرب،ص21